خاصاً له وقلما يمضي يوم الا ويركب في السيارة ويأتي البستان يتنزه فيه ويقرب من شباك مفتح في ايوان المدرسة ينظر الى البستان وعليه ستر فيجلس وراء الستر وينظر الى المدرسة ويشاهد أحوالها وأحوال الفقهاء ويشرف عليهم ويتفقد أحوالهم . فليت المستنصر بحيا اليوم فيرى مافعلت الايام بما شاده وشاده نظام الملك

البابليون

المملكة الكلدانية — قامت مملكة اشورية جديدة مكان بلاد الكلدان القديمة الدائرة دعيت مملكة البابليين او المملكة الكلدانية الثانية . وقد تكلم احد انبياء اسرائيل على لسان الرب فقال : « انا احيي الكلدان تلك الامة الظالمة والسريعان ماتطوف الارض للاستيلاء على مساكن غيرها وان خيولها لا خف سيراً من النمر وفرسانها لينشرون في الاطراف ويطيرون كالنسر ينقض على فنيصته » وبالجملة فقد ألف الكلدانيون الفروسية والحرب والفتح وهم يماثلون الاشوريين كل المماثلة فاستولوا على بلاد الفرس والجزيرة وبلاد اليهود وسورية وكانت مدة حكمهم قصيرة فقد أنشئت المملكة البابلية سنة ٦٢٥ وابادها الفرس سنة ٥٣٨ ق . م

بابل — كان بختنصر (٦٠٤ — ٥٦١) من اقدر ملوكها وهو الذي خرب بيت المقدس وساق اليهود أسرى واسس في بابل عاصمة بلاده كثيراً من المعابد والقصور . اقيمت هذه المعاهد بالآجر لقلة الحجر في سهل الفرات . ولما كتب عليها الدثور والعفاء لم يبق منها الا كوم من التراب والانقاض وقد عثر في المكان الذي كانت فيه بابل على بعض كتابات

فعرفت هيئة المدينة . بيد ان هيرودتس اليوناني وصف مدينة بابل وصفاً مسهباً وكان زارها في القرن الخامس ق .م فاذا هي محاطة بسور مربع يشقه الفرات وكانت المدينة تشغل حيزاً من الارض مساحته ٥١٣ كيلومتراً مربعاً (أي سبعة اضعاف مدينة باريز) ولم تكن كل هذه البقعة الفسيحة الارجاء عامرة بالدور والمساكن بل كان يتخللها حقول مزروعة تقوم باود السكان آونة الحصار . فكانت بابل من ثم اشبه بمعسكر حصين منها بمدينة . وفي جدرانها ابراج ولهامئة باب من النحاس الاصفر وكان سمكها صالحاً لمرور مركبة عليها وفي حيال السور خندق عريض عميق ملئ ماء وسترت حافاته بالقرمد . وكانت دورها ذات ثلاث طبقات او اربع والشوارع وسطها زوايا قائمة . وما اعجب بناء جسر الفرات وارصفته والقصر الحصين والجنان المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع . وهذه الجنان سطوح مغروسة بالاشجار قائمة على عمد وقباب مصفوفة طبقات الاولى بعد الثانية .

برج بابل – بنى بختنصر في طرف المدينة برج بابل وقال في احدى كتاباته «لقد جددت اعجوبة بورسيبا (من ضواحي بابل) ليعجب الناس منها وهو معبد السيارات السبع في الدنيا فاعدت تأسيسه على النحو الذي كان عليه في الازمان السالفة» . وهذا المعبد على شكل مربع مؤلف من سبعة ابراج بعضها على بعض وخص كل برج باحدى السيارات السبع وصور باللون الذي أختاره الدين لتلك السيارة . وهذه الالوان اذا بدئ بها من أسفل فهي : زحل (سواد) والزهرة (بياض) والمشتري (ارجوان) وعطارد (ازرق) والمريخ (قرمزي) والقمر (فضي) والشمس (ذهبي) . وكان في أعلى الابراج مصلى ومنضدة من ذهب وفراش وثير تسكن اليه كاهنة .

اخلاقهم وديانتهم

اخلاقهم — لانعرف هذه الشعوب الا بمعاهدها ومعاهدها تكاد لاتتعدى اعمال ملوكها فلاترى الاشوريين أبداً الاوهم مصورون في حرب او في صيد او في احتفالات وما صور نساؤهم قط اذ كن حلس بيوتهن لايخرجن للناس . وعلى العكس في الكلدان فانهم كانوا أهل حراثة وتجارة ولكننا لانعرف شيئاً عن حياتهم . يقول هيرودتس ان هذه الامة كانت تجمع البنات في مدنها مرة واحدة في العام لتزويجهن فيبيعون الجميلات منهن ويؤخذ ثمنهن ليعطى جهازاً الى مشوهات الخلقة . قال وعندي ان هذا القانون من احكم ماوضع من القوانين والشرائع .

ديانتهم — دين هاتين الامتين واحد فالاشوريون تمذهبوا بمذهب الكلدانيين وقد التبس علينا هذا الدين لانه نشأ كدين الشعب الكلداني من مزيج ديانات متباينة مشوشه كلها . فكان التورانيون يعتقدون على نحو ماتوهمه قبائل سيبريا الصفر ان العالم غاص بالشياطين (مثل الطاعون والحمى والاشباح والعفاريت) دأبها تربص البشر بالشر والاخذ بمخنقهم ولذلك تراهم لايلجأون الى السحرة ليطردوا عنهم هاته الشياطين برقياتهم . وكان الكوشيون يعبدون ربين ذوي اقنومين الذكر وكان القوة بزعمهم والانثى وهي المادة وكان الكهنة الكلدان وهم مجموع طوائف قوية من المنعة بحيث ساغ لهم ان يعنوا بتوحيد الدينين .

الارباب — الرب المتعال هو ايلو في بابل واسور في اشور وقلما يقيمون له معبداً ومنه يشتق ثلاثة ارباب وهم آنو رب الظلمة وصورته صورة رجل وذنب نسر معصب رأسه برأس سمكة . وبعل ملك الارواح مصور

كالملك على عرشه . ونواح وهو العالم المنظور هيئته هيئة جبار ذي اربعة اجنحة منتشرة . ولكل من هذه الارباب ربة انثى اشارة الى كثرة الاولاد والذراري . ثم ترد من اسفل صور القمر والشمس والسيارات الخمس والكواكب وفي هواء بلاد الكلدان الشفاف بضيء سناها اضاءة لم نعهدها فتلألأ كالارباب . وقد اقام الكلدانيون معابدهم باسم هذه الارباب وما هي في الحقيقة الا مراصد يتمكن منها المتعبد من مراقبة سير الافلاك .

علم التنجيم — ذهب الكهنة الى ان هذه الكواكب ارباب عظيمة تعمل عملها في حياة الانسان . فكل امرئ يولد في الدنيا في طالع كوكب من الكواكب فيتأتى التنبوء بسعده اذا علم الكوكب الذي ولد في طالعه . ومن هنا نشأ علم التنجيم والفأل فما يحدث في السماء علامة على ما سيحدث على الارض . فالنجمة المذنبة مثلاً تنبئ بحدوث ثورة . ويعتقد كهنة الكلدانيين انهم اذا رصدوا القبة الزرقاء وسياراتها يتنبأون بالحوادث وهذا أصل التنجيم .

علم السحر — للكلدان ضروب من الرقى والطلسمات يدمدمون بها لطرد الارواح أو استحضارها . وهذه العادة من بقايا ديانة التورانيين وهي أصل السحر . نشأ علم السحر والتنجيم في بلاد الكلدانيين وانتشر في أفق المملكة الرومانية ثم تعداها الى بلاد أوربا . عرف ذلك من تتبع القوانين السحرية في القرن السادس عشر وكان فيها اذ ذاك كلمات أشورية محرفة .

العلوم — نشأت علوم النجوم في بلاد الكلدان فمنها عرفنا منطقة البروج وتألف الاسبوع من سبعة أيام اكراماً للسيارات السبع وتقسيم السنة الى اثني عشر شهراً واليوم الى أربعة وعشرين ساعة والساعة الى ستين

دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . زعمهم أخذنا طريقة الاوزان والمكاييل مضروبة على مقياس الطول مما ألف بالاستعمال عند الشعوب القديمة كافة

الصنائع

علم عقود الابنية — لا نعرف صنائع الكلدانيين حق معرفتها اذ قد سجل العفاء على معاهدهم . وقد حذا أهل الصنائع من الاشوريين ممن رأينا صنائعهم حذو الكلدانيين فصح الحكم على المملكتين جملة واحدة . كان الاشوريون يبنون كالكلدانيين بآجر مجفف بالشمس ويغشون ظواهر الابنية بالاحجار .

القصور — اقام الكلدانيون قصورهم على آكام صناعية جعلوها واطئة مسطحة تشبه سطوحاً كبيرة واقتضى جعل العلالي والغرف ضيقة واطئة واكتفي بتطويلها كثيراً لان الآجر لم يكن لينفع في بناء القباب المنبسطة العالية . فالقصر الاشوري يشبه سلسلة أروقة ودهاليز . والسقوف سطوح ممتدة ذات شرفات وفي الباب ثيران ضخمة مجنحة على هيئة الانسان . والجدران مغشاة من الداخل تارة بروافد من الخشب النفيس وطوراً من الآجر المزين بالمينا وأخرى بصفائح من الرخام الابيض المنقوش وآنات تزدان الغرف بالصور ويحلى الاثاث بالترصيع البديع

النقش — يعجب المرء من نقوش الصور الاشورية خاصة ومن المحقق ان التماثيل نادرة ولا اتقان فيها لان النحاتين يؤثرون نحت صفائح كبيرة من الرخام ونقوش ناتئة تشبه الصور ويرسمون مشاهد لانظام فيها احياناً وحروباً وصيوداً وحصارات مدن واحتفالات يخرج الملك بها في موكب حفل وهناك تتجلى التفاصيل الدقيقة . فترى بنات الخدام الموكلين بطعام

الملك وزمر العملة يدنون له بلاطه والحدائق والحقول والغدران والاسماك في الماء والطيور ترفرف على وكناتها أو تتطاير من شجرة الى أخرى . وترى صور الكبراء من جوانب وجوههم لان أهل الصناعة ما عرفوا تصويرهامن الامام .ولكنك تقرأ في سحناتهم الحياة والشرف . وتظهر الحيوانات في الاحايين وخصوصاً في الرسوم البارزة في الصيد وفي العادة أن تنقل نقلاحقيقياً مدهشاً .وكان الاشوريون يتأملون الطبيعة ويرسمونها أصح رسم وبهذا تعرف قيمة صنائعهم حتى ان اليونان اقتدوا بمذهبهم في الصنائع بان قلدوا النقوش الاشورية ففاقوا مقلديهم وليس في الامم حتى ولا اليونان أنفسهم من أحسنوا تصوير الحيوانات كالاشوريين

حسنات القرن الماضي وسيئاته

معربة عن الفرنسوية

من المعلوم ان حب البذخ قد وجد في كل عصر من عصور العالم وتواريخ الامم القديمة طافحة بالامثلة الكثيرة من ذلك ولكنه كان أبداً سبب الشقاء العام والخاص وتأثيره في هذه القرون الحديثة أدهى وأمر . فقد كان البذخ في القرون السالفة من شأن طبقات الاشراف الكبراء أما في القرن التاسع عشر فاصاب الطبقة الوسطى من الناس تلك الطبقة التي نالت ما نالت بفضل ما خولت من الامتيازات . وهذه الطبقة على كثرة عددها من أشد الطبقات قرباً من الطبقة السافلة وأكثرها بها اختلاطا ولذلك أصاب هذه أيضاً من ذاك المرض شدة ، وبرحت بها تباريح التفخل والتبرج . ومن الاسف ان آفة التظاهر باليسار ما زالت تتفاقم شرها ويعظم ضررها من حين الى آخر وهي من الجراحات الاجتماعية التي هاجت الطبقات الميسورة